الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي طاهر * سعيدة *

كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم :اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ليسانس

تخصص لسانيات عامة

الموسومة بـ :

المرأة في شعر الصعاليك

من إعداد الطالبتين :

❖ برمضان الزهرة

❖ معطاوي مسعودة

تحت إشراف الدكتور

بن يمينة بن يمينة

السنة الجامعية:

1440/1439 هـ الموافق 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر و العرفان

الحمد لله نحمده ونشكره شكرا طيبا مباركا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما ما شاء من شيء بعد.

نحمده على نعمة العلم وعلى حب المثابر في طلبه.

شكر وعرفان

نتقدم بأخلص الشكر وأعظم التقدير لأستاذنا الكريم

"بن يمينة بن يمينة"

الذي منحنا من عمله العزيز ووقته الثمين ما أعاننا على مواصلة البحث والدراسة.

فقد كان لحسن توجيهاته وإرشاداته أجمل الأثر في إخراج هذه المذكرة.

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

وإلى كل من أشرف على طباعة هذه المذكرة.

وإلى كل شخص يستحق الشكر والعرفان وهفا القلم على ذكر إسمه فلكل هؤلاء كلمة شكر.

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى أغلى ما عندي في الوجود للمملكة الحنان والشمعة التي أنارت دربي أمي أطال الله في عمرها ورمز العطاء والكفاح أبي الغالي.

إلى إخواتي: عبد الهادي، أحمد عبد العزيز

الى عائلة برمضان الكريمة صغيرهم وكبيرهم

الى كل صديقاتي: هدى، نسرين، نجية، نجاة، مسعودة

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الذي قبل الاشراف علي الأستاذ بن يمينة

زهرة

الإهداء

ربي أودعني أن نشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين أما بعد:

فإن القلم لا يعجز أن يسيطر كلمات الشكر والتقدير لكل من كان له الفضل والعون في سبيل اخراج البحث على النحو التالي واخص بالشكر الجزيل نبع الحنان ومرفع الأمن والدي الكريمين أدام الله عمرهما بذات الصحة العافية ورفع درجاتهم في علين، وحشرهم مع الشهداء والصدقين على صبرهما علي ودعمهما المتواصل لي، كما اجد ما وصلت اليه اليوم إلا بفضلهما وثمرة زرعوها في جزاهم الله عني خير جزاء، "ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" والشكر الموصول الى اخوتي واخواني وعلى رأسهم أختي محجوبة وصديقتي الزهرة برمضان التي كانت واقفة الى جانبي في السراء والضراء ولا يفوتوني أن أتقدم بالشكر الجزيل الى الذي قبل الاشراف على الأستاذ بن يمينة.

مسعودة

يتناول البحث موضوع المرأة في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، حيث كان للمرأة أن تشغل مساحة متميزة في النص الشعري الجاهلي.فتظل صورتها في أذهان الشعراء والأغراض المتناولة الغزل والمدح والطيف والحوار.

وإن التعامل مع الشعر الجاهلي هو تعامل مع أجود وأتقى شكل أدبي علرفه العرب منذ أقدم العصور هم وأن هذا التراث الضارب في عمق الزمن هو معين يبدو وكأنه لن ينضب، وأن الخوض في قضاياه يبقى متجدد بتجدد الرؤى والتصورات المعينة على دراسته واستجلاء خباياه، كما أن إغراء النص الصعلوكي كواحد من النصوص الجاهلية المتفردة والمتمردة، والتي حملت عدة خصوصيات.

وقد حاولت أن أ جمع في هذا البحث بين المعالجة الموضوعية للنص الصعلوكي من دون أن أغفل عن الكثير من لوحات المرأة في شعر الصعاليك تبقى نتاجا فنيا صرفا لا يمد جذوره في أرض الواقع اليومي للشاعر إلا في حالان قليلة.

ومن هنا كان علينا أن ننشغل باستجلاء الثوابت لفنية والجمالية فيها واستقراء علاقاتها ببنية النص وأجوائه النفسية و من هنا يمكن طرح التساؤل التالي ما معنى الصعلكة و ماهي أسباب إنتشارها؟

وعلى هذا الأساس فقد انتظم البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول احتوى على:

- التعريف بالصعلكة لغة واصطلاحا.
- طوائف الصعاليك.
- أسباب ظهور هذه الظاهرة.

- إضافة إلى أنماط المرأة وصورتها في شعر الصعاليك.

- **المرأة العاذلة:** وهي المرأة التي كانت حريصة على الشاعر ومشفقة عليه ترجو له العقل وتدعوه إلى التعقل، وكانت صوت العقل الواعي أو هاجس نفس الشاعر الحذر التي تحاول إحداث التوازن في تصفاته ولكن الصعلوك كان يرفض الانحراف وراء إغراء هذا الصوت.
- **المرأة العفيفة:** لطالما شكلت صورة المرأة الخلقية والنفسية وبخاصة منها ما تعلق بخفرها وبعفتها مقابل موضوعيا في مواجهة تلك النزعة الحسية في تصوير المرأة لدى الشعراء الحاصلين إن الصعاليك يفتخرون بالمرأة العفيفة ويتخذون منها زوجات لهم.
- **المرأة المصارمة:** إنها النقطة التي اشترك فيها الصعاليك مع شعراء العصر الجاهلي ولكن الفارق بينهما في كيفية التعامل مع هذا الموقف عند كلا الفرقين إلا أن الصعلوك لا يبكي عن المرأة المصارمة التي تقطع حبل الوصال عكس الشعراء الآخرين.
- **المرأة كأم:** إن الأم هي منبع الحياة والحنان ولبد من الافتخار بها وتجسدها في أجمل صورة مهما كانت صفتها مهما فعل سليك الذي يفتخر بأمه ويمجدها على الرغم من كونها من الحبش عكس عروة ابن الورد الذي يهجو أمه وأخوه ويرونه ليسو من مستوى قبيلة عبس.
- **صورة المرأة المبتذلة:** لطالما تغنى الشعراء الصعاليك في أشعارهم بعفة المرأة وسمو أخلاقها. وابتعدوا ما أمكنهم عن الخوض في كلام الجسد، وتفاصيله، حيث لم نلمس عندهم تلك العناية بتقديمهم الصورة المادية والحسية كما هو الشأن عند بقية الشعراء الجاهلين، غير أننا نجد بعض النصوص الشعرية التي شكلت الاستثناء، على الرغم من قلتها إلا أنها أبرزت الصورة الفاحشة للمرأة.
- **طيف المرآة:** وهي تصوير المرأة لما يأتي طيفها في الليل ليتذكرها الصعلوك مما يبعد عنه النوم وراحة البال وسبب قدوم هذا الطين هو طول الهجران والحرمان الذي جعل الصعلوك يتذكرها في الليل.

-

أما الفصل الثاني:

- تحليل لامية العرب للشنفرى .

تعريف الصعلكة:

الصعلكة، كما في معاجم اللغة، هي الفقير[1] والصعاليك هم الفقراء، ففي لسان العرب: الصعلوك الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري و لا اعتماد، وقد تصعلك الرجل إذ كان كذلك.

يقول حاتم الطائي:

عنينا رمانا بالتصعلك والغنى فكلا سبقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر.

حيث كان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك، لأنه كان يجمع[2] الفقراء في حظيرة فيوزع عليهم مما يغنمه والتصعلك الفقر.ولقد اكتفى معظم المعاجم بالمعنى المباشر لصعلكة هو الفقر، ولكننا إذا أردنا أن نتعرف على المعنى العرفي، لصعلكة فإنها تغني الذئاب.

فالصعلكة تعني الفقر والتحرر من المال مما يجعل الانسان لصا وقاطع طريق.

وقال: شمر: المصعلك من الاسمنة الذي كأنما حدرجت أعلاه حد درجة كأنها صعلكت أسفله بيدك، ثم مطلته صعدا، أي رفعته على تلك الدملكة، وتلك الاستدارة[3] وقال الأصمعي في قول أبي دؤاد يصف خيلا:

قد تصعلكن في الربيع وقد قرع جلة الفرائض الأقدام.

قال تصلكن: دققن، وطار عفاؤها عنها.

---

[1] لسان العرب، مادة صعلك.

[2] الصحاح للجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، مادة (صعلك).

[3] لسان العرب، لأبي متطور.

وقال شمر: تصعلكن الابل إذ دقت قوائمها من السمن.[1]

تعريف الصعاليك: اسم يطلق على جماعة من العرب قبل عصر ما قبل الاسلام عاشو وأطلقوا حركتهم في الجزيرة العربية وينتمون الى قبائل مختلفة كانوا لا يعترفون بسلطة القبيلة ووجباتها فطرد من قبائلهم ومعظم أفراد هذه الجماعة من الشعراء المجدين وقصائدهم تعد من عيون الشعر العربي.

أقسام الصعاليك: يمكن تقسيم الصعاليك إلى ثلاثة:

1- فئة الخلفاء الشداد: وهم الذين خلفتهم قبائلهم بسبب أعمالهم التي لا تتوقف مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها حاجز الأردي، وقيس الحداد والبراص بن قيس.[2]

2- فئة أبناء الحبشات السود: هم نبذهم أبائهم[3] ولم يلحقوهم بنسبيهم مثل: تأبط شر- التنفرا والساليك ابن السلكه.

3- فئة احترفت الصعلكة: إحترافا ما يفوق الفروسية من خلال الأعمال الايجابية التي كانو يقومون بها مثل عروة ابن الورد.

أسباب الصعلكة:

1- **الفقر**: من أسباب الصعلكة الفقر وقلة الموارد المعيشية في أرض واسعة يعتمد أهلها على رعي الأغنام فيأكلون من لحومها ويشربون ألبانها ويلبسوون من أصوافها وأبورها، وإن

[1] الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، الدكتور يوسف خلف.

[2] أحمد كمال زكي، شعر المهذلين في العصر الجاهلي والاسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، ص27.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف.

حياتهم تتقلب بين الفقر الغنى وذلك لظروف القاسية في حياتهم إنهم دائما رهن الطقس ونزول المطر أي حياة الترحال إذن الفقر كان سببا في بروز هذه الظاهرة. يقول عروي بن الورد:[1]

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسي له حسب وخير.

ويقصيه الندى وتزدريه حليله وينهز الصغير.

ويلفى دو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير.

قليل ذنبه والذنب جم ولكن للغنى رب غفور.

وهناك قد اكد عروى بن الورد ان مجتمعه متعسف يحتقر الفقير لان فقير وحسب ويجعل الغني لا لشيء أيضا إلا أنهم أغنياء فأعلن الحرب على الأغنياء.[2]

كما أن السليك يصور لنا الفقر وما لحق به من خوع حتى أنه إذ قام لحاجة أخذه الدوار وتراءت له الخيالات والأطياف يقول:

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة وئدت لأسباب المنية أعرف.[3]

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضربني إذا قمت تعشا في ظلال فأسف.

الجوع والفقر من أهم الأسباب التي جعلت السليك وغيره يقدمون على الصعلكة والغز من أجل جمع المال للعيش أو مساعدة الفقراء مثلهم.

---

[1] ديوان عروة، دراسة أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص79.

[2] ابراهيم الخواجة، عروة بن الورد، مطبعة النصر، نابلس.

[3] ديوان السليك، سعدي الضادي، دار الكتاب العربي، 1994، ص84.

ويقول السليك أيضا:

أشاب الرأس أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرجال

يشف على أن يلقي ضميا ويعجز عن تخلصهن مالي

يبين في هذين البيتين أن الفقر وقلة المال كان حاجز ومانع يحول دون الدفاع عن أنفسهم وأهلهم وتغرضهم للغزوات لأن بالمال يحصلون غلى الغداء لطاقة والدفاع عن أنفسهم.[1]

إن الجوع والحرمان والفقر كانا حاضرين في شهرهم الذي هو مرآة حياتهم ودافعهم للصعلكة والغزو ولاغارة، لا من أجل الحياة، بل إن الرضى بالفقر والتقاعس عن الغزو والاغارة يعد عيبا. ويقول عروة ابن الورد:[2]

لحى الله صعلوكا إذ جن ليلة حصافي المشاش، آلفا كل مجزر..

يعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر.

ينام عشاء ثم يصبح ناعسا بحت الحصا عن جنبه المتعفر.

قليل التماس الزاد إلا لنفسه إدمعوا أمسى كالعريش المجور.

يعين نساء الحي ما يستعنه ويسمى طليحا كالبعير المحسر.

ولكن صعلوكا، صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور.

مطلا على أعدائه بزجرونه بساحتهم، زجرا المنيح المشهر.

إذا بعد لا يأمنون إقترابه تشوف أهل الغائب المنتظر.

فذلك إن يلق المنية يلقها حميدا. وإن يستقن يوما فأجبر.

---

[1] المصدر السابق، ص٥٦.

[2] ديوان عروة ابن الورد.

يبين الصعلوك ابن الورد في هذه الأبيات أن الصعلوك النشيط الذي يعتمد على نفسه أو الإنسان بصفة عامة أحسن من من ينتظر جميل أو صدقة من الغير.[1]

غياب الدولة والسلطة:

لم يعرف الجاهلون الدولة الجامعة التي تبسط عليهم سلطانها وتفرض قوانينها وتنظم شؤونهم وتسير حياتهم بل كان النظام القبلي هو السائد في الجزيرة العربية وكلما كانت القبيلة قوية فكلما بسطها على السلطة أقدر يعني القبيلة مسيرة على الحياة السياسية والغلبة لأقوى ومن الذي يجب أن يخضعوا لقانون القبيلة الصعاليك وهذا مرفضوه تماما.يقول الشنفرى في لامية مفضلا حياته مع الحوش الضارة على حياة وسط مجتمع ظالم قال:[2]

أقيموني أمى صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل.

فقد حمت الحجان والليل مقمر شدت لطيات مطايا وأرحل.

وفي الأرض مناي الكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل.

ولم دونكم أهلول سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جبال.

هم الأهل لا مستوع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما يختل.[3]

إذن: الشنفرى يفضل الوحوش من النمور والضياع والذئاب ويتخذ منهم أهلا وهذا رمز يحمل في طياته تصوير وتجسيد لمجتمع سلبي.

---

[1] ديوان عروة ابن الورد، حياته وشعره، ابراهيم الخواجة، مطبعة لنصر، نابلس.

[2] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، ص59.

[3] محمد مصطفى هدارة، دراسات في الشعر الجاهلي، دار المعرفة، ص5.

حاول تأبط شرا أن يتمرد على القبيلة وأعرفها ومحاولة فرض رؤيته عليها والا الأرض واسعة ويعيش حرا قال تأبط:

إني رغيم لم تتركوا عذلي أن يسأل الحي عن أهل آفاق.

أن يسأل القوم عني أهل معرفة فلا يخبر

لتقر عن على السن من ندم إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي.[1]

وهكذا قرر تأبط ومعظم الصعاليك التحرر من السلطة والنفوذ وهذا ما جسده معظم أشعارهم ويعني ذلك أن الصعلكة والسلطة لا يتفقان مما أدى إلى ظهور هذه الظاهرة وانتشارها ولو كانت هناك سلطة ودولة وقانون[2] ما وجدت الصعلكة والفكرة الأساسية غياب الدولة أدى إلى ظهور الصعلكة وفي المقابل لا نفي وجود الذوذ يعني بعض الأفراد في وجود الدولة لا يحترمونه، لأن الصعلكة بقيت حتى في وجود السلطة القوية، حيث تمرد مالك ابن الريب على دولة بني أمية ويهجو الحجاج: قال:

إن تصوفنا يال مروان تقترب إليكم والا فأدنوا ببعاد.

فإن لنا عنكم مزاحا ومزحلا يعسب إلى ربح الفلاة صوادي.

ففي الأرض عن دار المذلة مذهب وكل بلاد أوطنت كبلادي.

فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد.

[1] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، ص46.

[2] الكامل للمبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة2، 1993.

طبيعة الأرض في الجزيرة العربية:

إن مايميز الجزيرة العربية طبيعتها الجغرافية تعتبر ملاذا آمنا للصعاليك، حيث الصحراء مترامية الأطراف والجبال العالية الممتدة وندرة المياه وقلتها وصعوبة الطقس من حيث الحرارة والبرودة كل هذا جعل الصعلوك يشعر بنوع من الأمن عل نفسه، ولقد كان الصعلوك يعرف كيف يغزو وكيف يغزونا حبا بنفسه وتجد في شعر العرب بصفة عامة وشعر الصعاليك بصفة خاصة ما يصور لنا الطبيعة والبيئة القاسية يصفها أمرؤ القيس يصف وادا لا حياة فيه حتى الذئاب لا تعوي فيه قال:[1]

وإذا كجوف العير قفر قصعته به الذئب كالخليع المعيل.

فقلت له لما عوى إن شأننا طويل العنا إن كنت لها تحول.

كلانا إنما ل شيئا أفاته ومن يجترث حرثي وحرتك يهزل[2]

إضاف الى هذا وصف الشنفرى البرد الشديد الذي لا يقاوم.

قال الشنفرى:

وليلة رحيس يصطلي القوس ربها وأقطعه اللائي بها يتنبل.

دعست على غطش وبغش وصحبتي سعار وإرزيز ووجد وأفكل.

- **صورة المرأة العاذلة:**

إن إطار المرأة العاذلة في تجارب الصعاليك الشعرية كشفت عن لوحات فنية مهديها هؤلاء الشعراء لنصوصهم، وجعلوا منها جسرا يمرون من خلاله الى التعبير عن معتقداتهم الراسخة في

[1] ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص33.

[2] بلوغ الأرب في شرح لمية العرب، ص204-206.

فلسفة الوجود، ويستطيع المتتبع لظاهرة العذل في شعر الصعاليك أن يلاحظ أن المرأة العاذلة في سياق هذه الظاهرة كانت دوما حريصة على الشاعر مشفقة عليه، ترجو له العقل وتدعوه إلى العقل وكانت صوت العقل الواعي أو هاجس نفس الشاعر الحذرة التي تحاول إحداث التوازن في تصرفاته، ولكن الصعلوك غالبا ما كان يرفض الانجراف وراد إعراء هذا الصوت الأنثوي الذي يحاول أن يرده عن مبادئه وقد عمد الصعلوك في ذلك إلى خلق يشبه الحوار بينه وبين المرأةالعاذلة ومن النصوص التي تبين ذلك قول عروة بن الورد:

أقلي على اللوم بابنة منذر ونامي وإن لم تشتمي النوم فاسهري.

ذريني ونفسي أم حسان أنني وبهاء قبل أن لا أملك البيع مشتري

أحاديث تبقى والفتى غير خالد إذا هو أمسى هاملة فوق صير.

تجارب أحجار الكناس وتشتكي إلى كل معروف رأته ومنكر.

ذريني أطوف في البلاد لعلني أخليك أو أغنيك عن سوء محضري.

فإن فاز تسهمي كفكم عن مقاعد جزوعا وهل عن ذلك من متأخر.

تقول لك الويلات هل أنت تارك لكم حلف أدبار البيوت ومنظر

ومستثبت في مالك العام إنني ضبوا الرجل تارة وبمنسر.

فجوع لأهل الصالحين مزلة أراك على أقتادصر ماء مذكر.

أبي الخفض من يغشاك من ذي قرابة مخوف ردها أن تصيبك فاحذر

ومستهنئ زيد أبوه فلا أرى له مدفعا فاقني جبائك واصبري.

يبدأ عروة صورته بحديثه صورته بحديثه عن زوجته التي تحاول أن تردوه عن أسلوب حياته وطريقة تصرفه في ماله فالزوجة هنا تتخذ مكانتها دافعا لمحاولة ثنى الصعلوك عن الاسترسال في هدر المال والمبالة في الكرم، وعلى الرغم مما قد يبدو في البيت الأول من قهر لآخر وتسلط عليه إلا أن ملامح استقلاليته بادية فالزوجة تقوم بلومه بقسوة وإلحاح دائم لدرجة هجره من كثرة لومه

ولكن هيهات لهذا الصعلوك المتمرد أن يقصر كلام عاذلة من عزيمته أو أن يغير من قناعته شيئا. والشاعر إذ يرفض تحقيق رغبة زوجة العاذل فهذا ليس سبب إزدراء لشخصها أو احتقار وعدم مبالات برأيها وإنما الذي دعاه إل ذلك هو قناعته التامة وإيمانه المطلق بصواب عقيدته، ويعرف عروة ابن الورد بحبه للغزو من أجل الجماعة البني[1] استنجدت بيه من شدة الفقر والجوع وزوجته تخوفت عليه من الهلاك فعصاها وخرج غازيا وفي ذلك يقول:

أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفني الأعداء والنهس أخوف.

تقول سليمى لوقمت لسرنا ولم تدري أني للمقام أطوف.

لعل الذي خوفتنا من أمامنا يصادفه في أهله المتخلف.

إذ فكت قد جاء الغنى حال دونه فمبلغ نفسي وسط الحلول التكنف[2]

أرى أم سرياح غدت في ضغائن تأمل من شام العراق تطوف.

إذن: إمرأة أو زوجة الصعلوك تحاول إبعاده عن أسلوب حياته الذي يحتوي على الخطورة لكنه لا يسمع كلامها ويستعمل معها الحوار لاقناعها[1].

[1] على أبو زيد: طاهرة العذل في شعر حاتم الطائي، مجلة دمشق المجلد 18، العدد1، السنة 2002، ص86.

[2] ديوان عروة ابن لورد، ص42-43-44.

- **صورة المرأة العفيفة:**

لطالما تشكت صورة المرأة لخليقة والنفسية وبخاصة منها ما تعلق بخفرها وبعفتها مقابلا موضوعيا في مواجهة تلك النزعة الحسية في تصوير المرأة لدى الشعراء الجاهلين.[2]

فالشاعر الجاهلي نظر إلى المرأة نظرة حسية فراح يصف كل ما تقع عليه عيناه من أجزاء جسدها المعجب المفتون قال عمرو بن كلثوم:

تريك إذ دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحينا.

دراعي غيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

وثديا مثل حق العاج رخصا حصانا من أكف الأمسينا.

ومتني لدنه سمقت وطالت نوافدفها تنوء بما ولينا.

ومأكمة يضيف الباب عنها وكشحا قد جننت به جنونا.[3]

وقد شكل الحديث عن المرأة مجال تفاخر بين الشعراء الجاهلين فلم يكن هدفهم الحديث عن تجاربهم وعلاقاتهم ووصف أفرادهم ومأسيهم بقدر ما كان التباهي بتلك العلاقات إن أغلب ما وصلنا لم يكن تجارب حقيقية أو واقعية ومن ثم فقد تناول الشعراء موضوع المرأة من باب كل ممنوع مرغوب إما تفاخر أو تقليد[4]، وعلى الرغم من هذا كله فإن الشاعر الصعلوك لم يتجل قط عن

---

[1] يوسف خليف: أوراق في الشعر ونقده، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، سنة1997، ص183.

[2] الشنقيطي أحمد بن الأمين : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة2005، ص89.

[3] مروة محمد رضا، الصعاليك في العصر الجاهلي، أخبارهم وأشعارهم، ص18.

[4] زيدان عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص119.

مبارئه التي طبعت حياته المضطربة، وفي وسط هذه الفوضى، يتميز الصعلوك بأخلاق عالية وثوابت إنسانية رفيعة وخاصة ما تعلق بالعفة في خلقهم الاجتماعي كما يبدو ذلك واضحا في أشعارهم، فقد سمت إلى درجة من النبل لانظن أن شعرا صوحلفا. قال عروة ابن الورد:

وإن جارتي ألوت رياح بيتها تناقلت حتى يستر البيت جابته.

وفي هذا البيت يصف عروة نفسه وحفاظه على جارته إذ طرحت الريح حباءها أو كشفت جزء منه فهو يعني النظر إليها.

يقول عروة إبن الورد:[1]

فإن يك شاب الراس مني فإنني أبيت على نفسي مناقب أربعا

فواحدة لا أبيت بغيره إذ ما سوام الحي حولي تضوعا.

وثانية لا أصمت كلينا إذ نزل الأضياف حرصا لنودعها.

وثالثة أن لا تقذع جارتي إذ كان جارد القوم فيهم مقذعا.

يعد الغزل من أكبر أعوان الشاعر في تناول صورة المرأة ولا يسما النفسية منها مبين منهاج سلوكها وحياتها، مصورة الحرقة والأسى والنعيم والسعادة وعرف شعر الصعاليك بالعفة واحترامهم للمرأة وإن أكثر من اشتهر بهذا العزل العفيف الصعلوك عذرة.[2]

ومن المعروف أن الغريزة الحسية هي أقوى عريزة في الانسان لأنها تهدف إلى بقاء النوع، حتى ذهب بعض النفس إلا أنها هي التي تتحكم في كل حركات الإنسان مما يجعل الشاعر يصف المرأة

[1] ديوان السليك في السلكة، ص75.

[2] محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر، دط، سنة 1981، ص33.

وصفا حسب إلا أن الشاعر الصعلوك يسمو عن ذلك فلا يعرض فظ للعورة أو إلى موضع أنوثة أو عفة، هذا راجع إلى[1] إحترامه للمرأة بصفة عامة والمرأة العفيفة بصفة خاصة.

قال السليك:

يعاف وصال ذات البدل قلبي ويتبع المصنعة النوارا

هنا يبين لنا الشاعر أنه يفضل المرأة العفيفة الشريفة ويرفض المرأة السهلة السريعة إلى بذل نفسها فقلبه يأبى وصالها.[2]

إذن:

إن الصعاليك يعرفون بإحترامهم للمرأة كأم وكزوجة وكأخت إضافة إلى حبه للمرأة العفيفة الشريفة وهذا راجع إلى أخلاق الصعاليك العالية.

إضافة إلى السليك ابن السليك نجد صعلوك آخر معروف نجد أنه يرمي في نفس ما يرمى إليه السليك أن وهو الشنفرى الذي يفضل المرأة المثالية التي تتميز بصفات عديدة مثل: الحياء والعفة حيث قال الشنفرى:[3]

لقد أعجبني لا سقوطا قناعها إذ ما مشت ولا بذات تلفت.

تبيت بعيد النوم تهدى غيوقها لجارتها إذا الهدية قلت

تحل بمنحاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حلت.

---

[1] ديوان السليك بن السلكة، ص338.

[2] محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر.

[3] ديوان الشنفرى، ص32-33.

كأن لها في الأرض نسبا تقصه على أمها وإن تكلمك تدلت.

أميمةلا يخلا نثاها وخليلها وإذا ذكر النسوان عفت وجلت[1]

إذا هو أمسى آب قرة عينه مآن السعيد لم يسل أين ظلت.

إن الشنفرى في هذه الأبيات لا ينظر إلى المرأة على أنها جسد يثير الشهوات ويلهب الغرائز، وإنما نظر إليها بذات إنسانية وهذه الأبيات أحسن وأروع ما قيل في حفر المرأة وعفتها[2] ويشهد الأصمغي في هذه الأبيات فيقول إنها أروع تجسيد لعفة النساء.

- **صورة المرأة المصارمة:**

إن أبرز نقطة إشترك فيها الصعاليك في شعرهم عن المرأة المصارمة إن الشعراء في العصر الجاهلي تناولها بشكل عام والصعاليك بشكل عام فإن هذا النوع من النساء يقطعن الحبال مع الصعلوك حيث يرها معظم الشعراء أنما إمرأة بقية قيد التقاليد البالية لمجتمعها[3] وتخلت عن زوجها وقت الشدة وهذه المرأة تسيء إلى الصعلوك وفي المقابل لا يهمه وصالها لأنه يفصل هذا النوع من النساء.

[1] زيدان عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص142.

[2] عبد الحليم حنفي: شعر الصعاليك منهجية وخصائص، ص329.

[3] عبد الله عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص123.

قال أمرؤ القيس:

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معمول.

هذا البيت دليل على احتقار الصعلوك لهذا النوع من النساء وفي المقابل عروة ابن الورد ينفي هذه الصفة عن زوجته حيث قال:[1]

تحن إلى سلمى بحر بلادها وأنت عليها بالماء كنت أقدرا.

تحل بواد من كراء مضلة تحاول سلمى أن أهاب وأحصرا.

وكيف ترجيها وقد حيل دونها وقد جاوزت حيا يتيض منكرا.

تبعاني الأعداء إما إلى دم وإما عراص الساعدين مصرا.

يظل الإباء ساقطا فوق متبه له القدوة الأولى إذا القرن مخمار

ولدينا صعلوك آخر هو حاجز الأزدي الذي كانت زوجته إمرأة مصارمة وفضلت الإقامة بعيدا عليه ولم تعد ترغب في الحديث معه أو العيش معه إلا لم يغير من أسلوب حياته لأن المرأة المصارمة ترفض حياة وأسلوب الصعلوك جملة وتفصيلا حيث يقول حاجز الأزدي:[2]

فإن تمسي ابنة السهمي منا بعيد لا تكلمنا كلامنا.

فإنك لا محالة أن تربيني ولو أمست حبالكم رماما.

بناجية القوائم عيسجور تدارك نيها عاما فعاما.

---

[1] ديوان عروة بن الورد، ص51-52-53.

[2] الأصمعي كتاب الأغاني، ص212.

سلي عني إذا أغبرت جمادى وكان طعام ضيفهم تواما

ألسنا عصمة الأضياف حتى وعمى مالك وضع السهاما.

أبي ربع القوارس يوم راح وعمي مالك وضع السهاما.

فلو صاحبتنا أرضيت منا إذ لم تغبق المائة الغلاما

إذن:

إن أول ما نلاحظه بعد قراءة هذه الأبيات الذي نجد فيه اختلاف عن الصعاليك لأنه على الرغم من قطعته زوجته له إلا أنه مزال متعلق به كما نجد في هذه الأبيات افتخار بالأهل والقبائل وهذا ما لم يتطرق إليه الصعاليك قبله.

كأن خوات الوعد بزء زئيره من الاء يسكن العرين بعترا.

إذا نحن أبرءنا وردت ركائنا وعن لناص أمرنا ما تيسرا.

بذلك منى عند ذلك صريمتي وصبري إذا ما الشيء ولي فأدبرا

وما أنس لا أنس قولها لجارتها ما إن يعيش بأخورا.

لعلك يوما أن تسري ندامة علي بما خشمتني يوم غضورا.

فغربت إن لم تخيرهم فلا أرى لي اليوم[1] أدنى منك علما وأخبرا.

تعيدك عمر الله هل تعلمنني كريما إذا سود لأتامل أزهرا.

[1] ديوان عروة ابن الورد، ص46.

صورا على رزء الموالي وحافظا بعرضي حتى يؤكل النبت أخضرا.

أقب ومخماص الشتاء مرزا إذا اغبر أولاد الأذلة أسفرا.

إذن:

في هذه الأبيات يبين عروة ابن الورد شوقه لزوجته في مواجهة ورد عن ماقاله أمؤ القيس الذي تركته زوجته دون رحمة ولم يشفع له ما قام به من أجلها.

في هذه الأبيات تصوير لحالة الشاعر النفسية أثناء وداع زوجته وما يتركه الفراق من ألم كبير إلا أن الصعلوك الذي لا يجد الاهتمام من زوجته نجده صور على حوادث الدهر وصعوباتها.

صورة المرأة في شعر الصعاليك كأم:

لقد تناول الصعاليك الكثير من القضايا في شعرهم تحدثو عن حياتهم ومغامراتهم دون أن ينسوا من شاركهم هذه الحياة سواء كانت أخت أو حبيبة أو زوجة وبصفة خاصة الأم التي مهما حاول الصعلوك النفراد إلا أنها لها علاقة وطيدة به وتتدخل في كل التفاصيل حياته وهذا حف كل أم والأغلبية كانت الأم تفرض نفسها عن الصعلوك دون أن يكون له دخل في اختيارها وإن نسب بعض الأمهات عبئا آخر يضاف إلى الأعباء الكبيرة التي يعاني منها الصعاليك لأن أغلبهم كانو من الهجناء وأبناء الإماء لأن بعضهم لم يكن يعرف نسبهم[1] مثل السليك إبن السليك وفيس بن الحدادية وغيرهما، فكانت صلة الصعاليك أقرب من أمهاتهم أكثر من أبائهم.

ولقد دفع النسب المجهول إلى رحيل الصعاليك من قبائلهم لأنهم يبدوهم.

قال الشنفرى:

[1] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص108-109.

أقيموني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأصيل[1]

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل.

يبين السليك بأنه سوف يرحل ويرجوا من قومه أن لا يسنجدو به وقت الحاجة ويتخذون الحيطة والحذر[2]

ونرى الشنفرى يبين العلاقة والصلة بين الأم والأبناء ولأبيات الشعرية التي سنتطق له تبين المكانة السامية والرفيعة سواء كانت هذه المكانة في المجتمع أو في نفسية الشاعر والشنفرى لا ينكر صلته بأمه على الرغم من أنها من الأغربة السود ويفتخر بها في كثيرا[3] من المواقف حيث رد على الفتاة أو الجارية السلامية التي لطمت وجهه وأنكرت عليه أن يكون أخاها: **قال الشنفرى:**

ألا ليت شعري والتلهف خلة بما ضربت كف الفتاة هجينها.

ولو علمت قعسوس أنساب والدي ووالدها ظلت تقاصر دونها.[4]

أنا ابن خيار الحجر بيتا ومنصبا وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها.

إن هذه الأبيات تبين لنا أن الشنفرى يفتخر بأمه ويقول بأنها من الحرائر على الرغم مما نعرفه أن أمه حبشية، ويصف نفسه في مواقف أخرى أنه هجين وهذا تناقض واضح.

إذن: الشنفرى كان من الصعاليك الذين يفتخرون بأمتهم وتربطهم بهم علاقة وطيدة ويدافعون عليهم إن تعرضنا لنقد والذل، وإن أكثر ملاحظة في شعر الصعاليك نجدهم لا يعترفون

---

[1] شرف ضيف، العصر الجاهلي، ص359.

[2] ديوان الشنفرى، ص58.

[3] وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، ص249.

[4] ديوان الشنفرى.

بالنقص ولا يقرون به ويسعون دوما إلى ثبات تفوقهم ومصاهاة أفعالهم لأفعال هؤلاء السادة وإن الصعاليك يمتازون بالشجاعة والسرعة والفروسية.

يقول السليك:

فإني يا أبنة الأقوام أربى على فعل الفوضى من الرجال.[1]

من خلال هذا البيت نستنتج السليك يبين لهذه المرأة ويخبرها بأن أفعاله أفضل من الرجال الذين أعجبت به هي دون أن تعجب به هو لا لشيء سوا أن منظرهم جميل وثيابهم أجمل.

إن هذا تصوير لحالة الشنفرى مع أمه أما الوضع بالنسبة إلى عروة ابن الورد فهناك إختلاف فالشنفرى يصور مواجهة بين العبيد والسادة أما عروة فهو من السادة الشرفاء الذين احترفوا الصعلكة لأن أباه كان من الشرفاء عكس أمه[2] التي لم تكن على قدر من الأصالة وعروة نجده دائما يتسلط بالسخط على هذه العلاقة التي جمعت بينهم حيث يرى في نسب أمه أو قبيلاتها تقليل من منزلته ولا تليق بفارس من فرسان عبس حيث قال عروة ابن الورد: [3]

لا تلم شيخي فما أدرى به غير أن شارك نهدا في النسب.

كان في قيس حسيبا ماجدا فأتت نهد على ذلك الحسب.

ولقد تطور هذا السخط من هذه العلاقة إلى هجاء حيث يرى عروة ابن الورد أن قبيلة أمه وأخواله ليس في منزلة بن عبس حيث يقول عروة:[4]

---

[1] ديوان السليك بن السلكة، ص88.

[2] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص316.

[3] ديوان عروة بن الورد، ص28

[4] المصدر السابق، ص62

مابي من عار إخال علمته سوى أن أخوالي إذا نسبوا نهد

إذ ما أردت المجد قصر مجدهم فأعيا على أن يقاربني المجد.

فيا ليتهم لم يضربوا في ضربة وأني عبد فيهم وأبي عبد.

ثعالب في الحرب العوان فإن تنج وتنفرح الجلى فإنهم الأسد .[1]

من خلال هذه الأبيات عروة ابن الورد يوجه هجاء لذع لأخواله لأنه يراهم أقل منه مرتبة ولكنه، لم يهجو أمه قد لكن قال بأنه كانوا يميرونه بها حيث قال:

أعيرتموني أن أمي تريعة وهل ينجبن في القوم غير الترائع[2]

وما طالب الأوتار إلا ابن حرة طويل نجاد السيف عاري الأشاجع.

ويقول أيضا:

هم عيروني أن أمي غريبة وهل كريم ماجد ما يعير.

وهنا نلاحظ أن عروة ابن الورد لا يدافع عن أمه مثل الشنفرى لأنه يرى بأنه ليس له الحق في الدفاع عن الأصل الوضيع الذي تنحدر منه أمه.

وعلى العوم تقول أن الصعاليك دافعوا عن الأم بصفة عامة وعن أمهاتهم بصفة خاصة حيث قال الشنفرى:

وأم عيال قد شهدت تقوتهم وإذا غطمتهم أو تحت وأقلت

[1] ديوان عروة ابن الورد، ص50.

[2] المصدر نفسه، ص19.

تخاف علينا العيل إن هي أكثرت ونحن جياح الى آل تالت[1]

وما إن بها ضن بما في وعائها ولكنها من حيفة الجوع أبقت

مهلكة لا يقتصر الستر دونها ولا ترتجى للبيت إن لم تبيت.

لها وفضة منها ثلاثون سيحفا إذا آنست أولى العدي اقشعرت.

وتأتي العدي بارزا نصف ساقها تحول كعير العنة المتلفت

إذا فزعوا طارت بأبيض صارم ورامت في جفرها ثم سلت.

إن هذه الأبيات لن تبين لنا عن شيء في موضوع المرأة كأم، كونها في حقيقة الأمر لا تصف المرأة كأم ولا تعبر عنها في شيء لأن مضمون هذه الأبيات يتحدث عن صفات رجولية، تتمتع بها المرأة ويمكن أن تنتقل هذه الصفات إلى الإبن.

إذن: إن للمرأة صفات لا يتمتع بها الرجل نفسه لهذا لا يجب أن يعير الإنسان بأمه مهما كان نسبها.

- **صورة طيف المرأة:**

يشغل طيف الحبيبة وجدان الشاعر الجاهلي ليمتد على مساحة واسعة من الشعر، ونجرؤ على القول: إن بإمكان الدارس إكتشاف مقدمات الحليمية لا تقل أهمية عن المقدمات الطليلية أو الخمرية.[2]

[1] ديوان الشنفرى، ص35-36.

[2] عبد الإله الصانع: الخطاب الابداعي الجاهلي والصورة الفنية، ص34.

فهذه الصورة –صور طيف- من حيث كونها ضربا من الأوهام ونسجا من الأحلام فهي ملاذ خليل يلجأ إليه الصعلوك يجيد فيه راحته، وفصاء حر يتخطى فيه الواقع ويعيد تشكيل حياته كما يشاء، والمرأة بالنسبة لصعلوك صعبة المنال وقليلة الوصال.

والطيف هو زدر الحبيبة من غير وعد يخشى مطلة، ويخاف ليه وقوته واللذة فيه لم تحتسب ولم ترتقب، يتضاعف بها الاستمتاع.[1]

وكان الطيف غالبا ما يربط الشاعر بما فيه ويحيليه إلى أيامه الخوالي، ويجعله يعيش تلك اللحظات من جديد بمختلف تفاصيلها، محاكيا الحقيقة تارة ومحرفا فيها تارة أخرى.

لم يجد الشاعر فكا كامن الحنين إلى الماضي في مقدماته الطيف، في الليل والنهار، وفي اليقظة وفي النوم.[2]

يقول السليك:

أم خيال من نشيبة بالركب وهن عجال عن نيال وعن نقب.[3]

فهذا الطيف محبوبة السليك لم ينتظر الشاعر ليستقر مع قومه المترحلين، أو أن يأتي الليل ليهجع الناس، فبينما كانو يشدون الركاب معجلين ليرتحلو عن نيل وعن النقب، وإذا يطيف يلم به، وهوطيف محبوبته نشيبة.

---

[1] المرجع السابق، ص31.

[2] حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية، ص229.

[3] ديوان السليك بن السلكة، ص65.

ولقد جاء هذا الطيف لشاعر وقت يقظته يعني في النهار لقد أعطي الصعاليك غاياتهم وأهدافهم إهتمامهم الأول ورعايتهم التامة، فظلوا يكتمون مشاعرهم وأحاسيسهم، فيعانون ما يعانون، ويأرقون ويتألمون، إلى أن تطيق بهم الأرض قيميلون إلى البعد والاغتراب.

يقول مالك بن حريم الهمداني:

تذكرت سلمى والركاب كأنها قطاورد بين اللفاظ ولغلغا

فجدثت نفسي أنها أو خيالها أتانا عشاء حين قمنا لنهجعا.

فقلت لها بيني لدنيا وغرسي وما طرقت بعد الرقاد لتنقعا[1]

منعمة لم تلق في العيش ترحة ولو تلق بؤسنا عند ذاك فتجدعا

أهيم بها لأم أقض منها لباتة وكنت بها في سالف الدهر موزعا

كأن جنى الكافور والمسك خالصا ويرد الندى والأقحوان المنزعا.

وقلتا قرت فيه السحابة ماءها بأنيابها والفارسي المشعشعا.

ففي هذه الأبيات طيف صاحبة الشاعر ليلا مع موعد النوم، وهو الموعد الذي يكثر فيه طرق الطيف عند أكثر الشعر الجاهلين ويبدو مالك وقد نذكر محبوبته "سلمى" شديد التشويق إليها فمجرد ذكرى تجعله يستحضر طيفها إلى جانبه، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل نجد أنه لا يميز بين سلمى وخيالها[2] فينظر إليهما على أنهما سواء، وعلى هذا الأساس نجده بعطي لهذا

[1] عبد الإله الصانع: الخطاب الابداعي الجاهلي والصورة الفنية، ص33.

[2] محمد نبيل طريفي: ديوان اللصوص من العصر الجاهلي والاسلامي: ج2، ص128-129.

الطيف عند تأبط شرا، ومن ثم فهو يدعو حبيبته من خلال طيفها إلى النزول والاستراحة والمبيت لديه.

يقول تأبط شرا:

يا عيد مالك من شوق وإيراق ومر طيف على الأهوال طراق

يسرى على الأين والحيان محتفيا نفسي فدؤك من سار على سباق.[1]

إني إذ خلة ظننت بنائلها وأمسكت بضعيف الوصول أحذاق.

نجوت منها نحائي من بحيله إذ ألقيت ليلة حبت الرهط أرواق.

في هذه الأبيات يخاطب الشاعر ما يعتاد حزن وشوق، لينفذ منه إلى الحديث عن الطيف وخصائصه، هذا الطيف الذي أحاله إلى طيف متصعلك، ليجد فيه معاد لا أمينا لواقعه وصورة حية من صورة عالمة.

ويصور لنا حالته وهو يمشي حافي القدمين بعد مجيء طيف حبيبته. غير عابئ بالكد والعناء، ولا مباليا بمخاطر الطريق المحفوفة بالأفاعي الميمتة، ليستقر أخيرا إلى جوار الشاعر الذي يبدى استعداده لتقديم حياته فداء لزيارة هذا الطارق.

ورغم أنه في البداية يصرح بوجوده وشوقه وأرقه لطول التغرب والبين فإنه مع ذلك مستمر في تحقيق أهدافه.

[1] ديوان تأبط شرا، ص40-41.

نبذة عن حياة الشنفرى:

هو عامر بن عمرو الأزدي[1]، من اليمن، يلقب بالشنفرى بفتح الشين وآخره مقصورة لم يتفق اللغويين في معنى لفظ الشنفرى على الرغم من أن أكثرهم فسر لفظ الشنفرى بأنه غليظ الشفتين، أما من كتبوا تراجيم الشعراء فقد كادوا يجمعون على أن الشنفرى[2] هو لقب لهذا الشاعر، ومرؤه إلى غلظة شفته وثانيها إلى حدة ميزاجه.

يظهر ان سيرة الشنفرى غامظة وزمان ولادته مبهم وكان معاصرا لتأبط شرا، وقتل قبل حوالي سنة 70 قبل الهجرة الموافق لسنة 525 ميلادي، ويذكر الرواة أن تأبط شرا رثى الشنفرى أما تأبط شرا فقد تقدم الإسلام بقليل.

اختلف الرواة في سيرة الشنفرى، فهناك من قال أنه نشأ في قبيلة بني سلامات من بني فهم الدين أسروه وهو طفل صغير ولما شاب وقعت له قصة مع إبنة سيدة متكبرة كانت سببا في تهلكه.

إن الشنفرة أسرته بنوا شباية بن فهم، ثم اختطف من طرف بني سلامان فكان الشنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعتهم ابنة مولاه الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذه ولدا، فقال الشنفرى لابنة سيده: إغسلي رأسي يا أختي. فإذ كرت أن يكون أخاها، وغاضها أن يدعوها بأخته، فلطمته، فذهب الشنفرى مغاضبا حتى الذي اشتراه من قبيلة فهم، فقال له: اصدقيني من أنا؟ فأخبرته بالحقيقة، فأدمر الشنفرى الشر لبني سلامان وقال لهم: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة رجل وتركهم وهو يقول:[3]

أَلا لَيتَ شِعرِيَ وَالتَلَهُّفُ ضَلَّةٌ*بِما ضَرَبَت كَفُّ الفَتاةِ هَجينَها**

وَلَو عَلِمَت قُعسوسُ أَنسابَ وَالِدي*وَوالِدِها ظَلَّت تَقَاصَرُ دونَها**

أَبي اِبنُ خِيارِ الحُجر بَيتاً وَمَنصِباً* وَأُمّي اِبنَةُ الأحرَارِ لَو تَعرِفِينَها**

(1) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص85.

(2) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، الطبعة السادسة،.

(3) معجم الشعراء الجاهليين، الطبعة الأ,لى، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، 1988، ص184

والمعروف حسب ما نعرف أن الشنفرى قتل من قبيلة بني[1] سلامان وتسعة وتسعين رجلا، ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منهم يدعى أسيد ابن جابر فقتله، ثم مر به رجل منهم فرفس جمجمته فبلغ عدد القتلى مائة.

لقد عارض الشنفرى نظام القبيلة في محاولة لتفويض أسسه وذلك بسبب خلل أصاب عملية التواصل بينه وبين أفراد قبيلته، لأن اضطراب النظام الاجتماعي في القبيلة يعني انقطاع المبادئ التي توفر الإحساس بالقيمة الذاتية والانتماء إلى القبيلة، غير صالح في نظر الصعاليك، فقاموا بتلك النزعة التمردية على النظام الاجتماعي السائد في بيئتهم ففضلوا الصعاليك ومن بينهم الشنفرى أن العيش في الصحراء أفضل من العيش في القبيلة التي لا نظام لها، فيتخذون السلب والسطو على القوافل هدفا.

لقد مارس الصعاليك في مجتمعهم الجديد[2] إجرائية الرفض والتمرد على الأفراد والنزوح عن مجتمع القبيلة وأصبحوا يعيشون في الكيافي مع الحيوانات وبدلوا وعوضوا محبة الأحباب بصحبة الحيوانات.

إن الاضطراب النفسي والخوف من المجهول[3] كانا السمة التي استحوذت على حياة الشنفرى فأصبحت هي الجانب الغالب الذي يحرك حياته على الرغم من قوة شخصية الشنفرى.

الشعر الشنفري:

يصادف دارس شعر الشنفرى، وغيرهم من الشعراء الصعاليك، صعوبات جمة وذلك بسبب ضياعه مع جملة ما ضاع من التراث الشعري في الجاهلية بصورة عامة. ولا يمكن التعرف على الشنفرى إلا بعد معرفة وتوفر كل أشعاره ومن أهم الأسباب التي جعلت شعر الشنفرى وغيرهم من الصعاليك يتسم بالندرة إلى ما يلي:

أولا: عدم اهتمام دواة الشعر بالشعراء الصعاليك، والشعراء المغمورين لأنهم كانوا يهتمون أساسا بشهرة الشاعر في نقل شعره وأخباره كما أن المنهج الذي يصطنعه أولئك الرواة قائم على مبدأ الانتقاء وأساس هذا الانتقاء كان يقوم على مبدأ شهرة الشاعر بين الشعراء المشهورين وهذا المنج هو

(1) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ص70

(2) كلام البدايات، أدونيس، الطبعة الأولى، دار الأدب، بيروت، 1983، ص93.

(3) نفس المصدر السابق.

منهج غير سليم، لأنه يطمس العديد من الشعراء، الأمر الذي جعل الكثير من الشعراء يظلمون، بضياع تراثهم، والشنفرى كان واحدا من هؤلاء الشعراء. إن الكثير من التراث العربي لم يصلنا وتتعدد أسباب ضياعه.

ثانيا: طغيان الجانب الذاتي على شخصية الشنفرى، ويرى يوسف خلف أن ذلك يعني بتصوير شخصيات أصحابه بقدر ما يهمل[1] شخصيات قبائلهم، لما حاجة القبائل إلى ذلك اللون من الشعر الذي لا يهتم بها في شيء.

ثالثا: إن وقوف الشنفرى وغيرهم من الصعاليك أمام القبيلة، ورفض أعرافها وتقاليدها كان سببا في جعل هذه القبيلة تنكرهم وتطمس شعرهم[2] وتغيبه وترفض نقله برواياته.

رابعا: كانت رواية الشعر في العصر الجاهلي تعتمد على اللغة وتصنيفها، وذلك باتخاذ مبدأ الحجة، والانتقاء أساس هذا الجمع ومن هنا كان عدم التفاف[3] الرواة إلى أشعار الشنفرى وغيره دون الصعاليك سببا في شعر أشعارهم تغيب، بل تندثر وتهمل، ومن هنا لم يغربل رواة الشعر شعر الشنفرى ولم يلتفت إليه وإلى غيره من الشعراء الصعاليك وبذلك ضاع الكثير من هذا الشعر مع جملة ما ضاع مت التراث الشعري، ومع ذلك سنحاول الاعتماد على ما وصلنا من شعر الشنفرى، وذلك بمدارسته موضوعاته وتعضيل ما بداخله، قصد تحديد خصائصه الفنية والأسلوبية.

ديوان الشنفرى:

يظهر أن الشعر الشنفرى كان معروفا لدى المصنفين القدامى خلال قرون متعاقبة، إذ نجد إشارات إلى هذا الشعر في كتب اللغة والتراجيم والأدب، مند القرن الأول للهجري لأن شعر الشعراء الصعاليك بل شعر الشنفرى كان متداولا، فقد نقل أبو الفرح الأصفهاني في الأغاني بعض الأشعار عند ترجمته للشنفرى على الرغم من إهماله من ذكر لامية العرب فلم يذكر منها ولا بيتا واحدا كما أشار المفصل الصيني إلى شعر الشنفرى في المفضليات، وذكر البغدادي بعد الأشعار في خزانة الأدب، وغيرها من

(1) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص154.

(2)معجم الشعراء الجاهليين، ص185.

(3) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص154.

الكتب، فقد كانت مصادر شعر الشنفرى كثيرة ومتنوعة، فيها كتب الأدب وبمجموعات الشعر والحماسات كحماسة أبس تمام وكتب الشروح وسواها.[1]

أما في الشعر في العصر الحديث فقد ذكرت عزيزة فوال بياتي أن الديوان الفرنسي سلفستردوساسي في باريس سنة 1826 كما نشره دوس في ألمانيا سنة 1853 ونشر الباحث ريد هاوس[2] في إنجلترا.

لامية العرب للشنفرى

ربما أول سؤال يتبادل إلى الذهن عن الظروف التي قيلت فيها لامية العرب ونعتقد بادئ ذي بدأ أن كل ما عاشه الشنفرى من أحداث كانت تحي في طائفة الصعاليك بصلح مناسبة لهذه القصيدة ويبدوا أن الشاعر نظمها في سن متقدمة، وبث تجاربه الحياتية والنفسية والفنية وسنلتمس مناسبة هذه القصيدة من المصادر القديمة المتعددة والمتنوعة لقد لقيت اهتماما بالغا من طرف المحققين وشراح الشعر، وتعتبر لامية العرب من أشهر ما أبدع الشعراء العرب ومطلعها:

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم ***فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ[3]

لقد عاشت لامية الشنفرى في المصاور التاريخية والأدبية، كما لقيت اهتماما بالغا من المستشرقين الذين ترجموها ودرسوها لأنهم كما يقول يوسف بن خليف وجدوا فيها صورة متقنة لحياة الأعراب في الجزيرة العربية [4]، فكان اهتمامهم بها لغرض اجتماعي كما كان اهتمام العرب لغرض لغوي.

تحقيق نسبة اللامية إلى الشنفرى:

ومن المستشرقين الذين اهتموا بلامية الشنفرة نجد كارل بركلمان[5] الذي أفاض بالحديث عنها إن الإعجاب بها أو التشكيك في نسبتها إلى الشنفرى، وقد أثار هذا الشك في نسبة اللامية إلى الشنفرى، المستشرق كرنكو الذي جعل في شكه موضوع اهتمامه ودراسته مستندا في ذلك إلى رأي

(1)الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص153.

(2) معجم الشعراء الجاهليين، ص185.

(3) ديوان الشنفرى، ص19.

(4) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 118 وما بعدها.

(5) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1971، ص1-160.

واحد فقط وهو رأي استقاه من دري في رواية القالي البغدادي الذي قال: "حدثني أبو بكر بن دريد أن القضية المنسوبة للشنفرى (لامية العرب والتي أولها أولها أقيموا ....) له وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول والهاء تعود على خلف ...."[1]فرأي بني دريد—كما نرى- نسب لامية العرب إلى خلف لاحمر[2] وبالمقابل ذكر كارل بركلمان أن لامية العرب تنسب إلى الشنفرى ونفى أن تكون لخلف الأحمر[3] كما أن الدكتور يوسف خليف نفى لامية العرب أن تكون للشنفرى.

الأسباب التي جعلت خلف بن يوسف ينفي اللامية إلى الشنفرى:

أولا: براعة خلف الأحمر في الوضع ونحل الشعر، وقدرته الخارقة على التزييد ومراد ذلك إلى علمه بخبايا الشعر ومعرفته الجيدة بفنونه.

ثانيا: ترجيح يوسف خليف رواية ابن دريد التي اعتمد عليها المستشرق كرنكو، وكذلك ثلث مائة لنص القالي البغدادي في كتابة الأماني، ومراد ذلك يعود إلى أن ابن دريد كان قريب العهد بالأحمر.

ثالثا: إغفال ذكر اللامية في كتاب الأغاني، فقد أحفل أبو الفرج الأصفهاني اللامية ولم يتحدث عنها ولم يذكر ولا بيتا واحدا منها رغم ترجمته للشنفرى، يضاف إلى ذلك ابن منظور الذي لم يستشهد بها ولم يذكرها في لسان العرب.

رابعا: طول لامية العرب الذي بلغ عدد أبياتها ثمانية وستون بيتا، في حين لم تتجاوز أطول قصيدة في ديوان الشنفرى وهي التائبة التي ذكرها المفضل الصيني في المفضليات خمسة وثلاثون بيتا أي نصف لامية العرب.[4]

خامسا: ندرة أسماء الأماكن والأسماء بل اختفائها في بعض الأحيان في لامية العرب، وهي ظاهرة غريبة غير مألوفة في الشعر العربي القديم بشكل عام[5].

---

(1) كتاب الأمالي، أبو إسماعيل القالي البغدادي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص1-156.

(2) طبقات فحول الشعراء، 7/1، 23، ابن إسلام الجماحي وابن قتيبة، الشعر والشعراء789/2.

(3) تاريخ الأدب العربي، ص107 وما بعدها.

(4) يوسف بن هليف، الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي.

(5) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص179-181.

ولم يكتف يوسف بنفي لامية العرب عن الشنفرى، واستبعد نسبتها إليه بل صرح قائلا والحق يقال أن خلفا قد صور حياة الصعاليك العرب في اللامية تصويرا رائعا ممتازا حتى ليصلح أن تكون مصدرا من مصدر حياتهم الاجتماعية ، والأمر الذي لا شك فيه أن خلفا قد مثل أولا حياة صعاليك العرب وخصائص عرهم الفنية، ثم مضى يصور هذه الحياة وهذا الفن في قصيدة رائعة، وحاول ما استطاع أن يجعلها صورة صادقة لما عرف عن عرهم وأخبارهم.[1]

يظاهر أن يوسف خليف نفى اللامية عن الشنفرى دون الالتفات إلى اللامية وقد ذكر الكثير من الدارسين منهم عبد الحليم الحنفي أن نفي اللامية عن الشنفرى فيه الكثير من الظلم والتحامل على الموضوعية العلمية، وقد عدد العديد الأسباب التي يمكن اعتبارها ردودا مقنعة على المشككين في نسبة لامية العرب إلى صاحبها الشنفرى.

الحجج والبراهين التي تؤكد على نسبة لامية العرب إلى صاحبها الشنفرى

أولا: يذكر أن صاحب اللامية هو الشنفريكما أن لامية العرب مطابقة لشخصية بما فيها من مقومات، وعقليته بما فيها من عمق ونضوج، وكذلك مطابقة لظروف الشنفرى من قساوة وجفاف بل أن اللامية تعد مرآة عاكسة لحياة الشنفرى بكل وضوح.

ثانيا: اشتهرت لامية ا لعرب مند القديم وضلت مشهورة حتى عصرنا الحاضر؟، فتناولها العديد من الشراح والدارسين واللغويين ولم يظهروا أدنى شك في نسبتها إلى الشنفرة يضاف إلى ذلك أن الآراء التي قالت بنسبتها إلى خلف الأحمر، لم تكن مأثرة ولم تستطع إثباتها إلى خلف الأحمر.

ثالثا: إن رواية القالي التي استند إليها يوسف خليف كانت دون توضيح وسند وذلك أن القالي لم يتحدث عن المصادر التي استغنى منها ابن دريد الخبر الذي أورده له القالي مع العلم أن القالي كان دقيقا في تحقيق الأخبار.

رابعا:أما عن سبب إغفال أبي الفرج الأصفهاني لذكر لامية العرب في كتابه الأغاني فمراده أن الأصفهاني انطلق في تأليف كتابه الأغاني من نزعتين اثنين، الأ,ل أنه وسم كتابه بالأغاني التي هي

(1) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص181.

أصوات جعلت للغناء، أما النزعة الثانية فقد فسرها شارح ديوان الشنفرى إميل بديع يعقوب[1] وقال أن الأصفهاني كان مولعا بالأخبار الغريبة ولامية العرب لم تكن من هذا القبيل. أما إغفال ابن منظور فهو رأي لا يبلغ مبلغ الدليل الحاسم على عدم نسبة لامية العرب إلى الشنفرى لأن فيه خطأ بين لأنه ورد في لسان العرب ثلاثة أبيان ونصف بيت وهي البيت السادس عشر، والبيت والواحد والثلاثون والبيت الثامن والخمسون بالإضافة إلى عجز البيت الواحد والستين

خامسا: أما فيما يتعلق بطول اللامية كون هذا الطول هو ظاهرة غير مألوفة في شعر الصعاليك وفي شعر الشنفرى وأن أطول قصيد للشنفرى بلغ عدد أبياتها ستة وثلاثون بيتا[2] وهي التاء المفصلية وهذا دليل على أن الشنفرى له القدرة على إنتاج قصائد طويلة ويعتبر من أهم الصعاليك الذين يمتازون بالقصائد الطويلة.

الإطار الفكري للامية العرب:

بعد الحديث عن لامية العرب، وتحقيق نسبتها إلى الشنفرى وذلك بالرد على المشككين، ننتقل الآن إلى الحديث عن الإطار الفكري بما يلائم السياق والمقام والظروف التي قيلت فيه.

ولكننا مع ذلك نقول: أن تذوق اللامية لا تكف له القراءة العجلى وإنما تحتاج إلى تأني ودراسة وأيسر ما ينبغي الحرس عليه الاستمتاع باللامية وتذوقها ومحاولة فهم ألفاظها قد تكون هذه الألفاظ الحائل الوحيد بين القارئ العادي، وبين ظهوره على جوهر اللامية لغرابة الكثير من الألفاظ.[3]وهذا نص من اللامية كما رواه أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي في كتابه الأماني:[4]

1- القسم الأول: عتاب الشاعر قومه: البيت من 1-4 يقول

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم**فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ**

فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ**وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ**

(1) ديوان الشنفرى، ص17.

(2) في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقاته، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1980، ص15.

(3) شعر الصعاليك منهجيته وخصائصه، ص173.

(4) كتاب الأماني: 156/1 وما بعدها.

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى*وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ**

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ*سَرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ**

يستهل الشنفرى لاميته بالقطيعة وبتر العلاقة مع دويه والانسلاخ عن نظامهم الاجتماعي وهذا عتاب صريح لأهله الذين نفروا منه وخلعوه فيقول لهم:

إن الأرض واسعة بما رحبت فلن أحتاج إليكم، وهنا يرفض الشاعر الانتماء إلى قومه ويبحث عن انتماء جديد فاللامية تشعرنا منذ الوهلة الأولى بل منذ البيت الأول فهو ينسحب إلى الطبيعة وفي هذه النقطة يلتقي مع الشعراء الرومنسيين[1] في مسألة البحث عن عالم المثل لكنه انتهى مثلهم إلى اللجوء إلى الطبيعة بوصفها العالم المنشود الذي يظمه ثم أن الشاعر بتصويره لنزعنه الانفصالية يكرس الذات، أو الأنا.

المستوى الثاني: تفضيل الحيونات الوحوش (البيت 5–البيت09) يقول:

وَلي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ * وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ**

هُمُ الرَهطُ لا مُستَودَعُ السِرَّ ذائِعٌ * لَدَيهِم وَلا الجاني بِما جَرَّ يُخذَلُ**

وَكُلُّ أَبِيٌّ باسِلٌ غَيرَ أَنَنَّي * إِذا عَرَضَت أُولى الطَرائِدِ أَبسَلُ**

وَإِن مُدَّتِ الأَيدي إِلى الزادِ لَم أَكنُ * بِأَعجَلِهِم إِذ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ**

وَما ذاكَ إِلاّ بَسطَةٌ عَن تَفَضُّلٍ[2] * عَلَيهِم وَكانَ الأَفضَلَ المُتَفَضَّلُ**

يجدد الشنفرى في هذا القسم انتماءه الجديد وهو انتماء يغديه الوهم لأنه يبحث عن ملاذ أمني جديد يركن إليه، وينعم بالاستقرار فهذا الانتماء المنشود هو انتماء موهوم ومتخيل يسعى الشنفرى إلى الاقتناع به فهو يبحث عن الحرية والانفلات ويظهر الشنفرى الصعلوك أتعب أفراد قبيلته وسبب لهم

(1) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، ص21.

(2) مقالات في الشعر الجاهلي، ص213.

متاعب كبيرة بسبب غاراته عليهم وغزواته مما دفعهم إلى رفضه وخلعه من القبيلة ويرى يوسف اليوسف يرى أن هذا هو السبب الذي جعل الجماعة ترفضه.[1]

المستوى الثالث: معاشرة الشنفرى للحيوانات والاعتماد على السيف وافتخاره:

وَإِنّي كَفانِي فَقدُ مَن لَيسَ جازِياً * بِحُسنى وَلا في قُربِه مُتَعَلَّلُ**

ثَلاثَةُ أَصحابٍ فُؤادٌ مُشَيَّعٌ* وَأَبيَضُ إِصليتٌ وَصَفراءُ عَيطَلُ**

هَتوفٌ مِنَ المُلسِ المُتونِ يَزينُها*رَصائِعُ قَد نيطَت إِلَيها وَمِحمَلُ**

إِذا زَلَّ عَنها السَهمُ حَنَّت كَأَنَّها**مُرَزَّأَةٌ عَجلى تُرِنُّ وَتُعوِلُ**

وَأَغدو خَميصَ البَطنِ لا يَستَفِزُّني *****إِلى الزاد حِرصٌ أَو فُؤادٌ مُوَكّلُ

وَلَستُ بِمِهيافٍ يُعَشّي سَوامَهُ**مُجَدَّعَةً سُقباناً وَهيَ بُهَّلُ**

وَلا جَبأَأَكهى مُربٍّ بِعِرسِهِ***يُطالِعُها في شَأنِهِ كَيفَ يَفعَلُ**

وَلا خَرِقٍ هَيقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ***يَظَلُّ بِهِ المُكّاءُ يَعلو وَيَسفِلُ**

وَلا خالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ***يَروحُ وَيَغدو داهِناً يَتَكَحَّلُ**

وَلَستُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دونَ خَيرِهِ*أَلَفَّ إِذا ما رُعتَهُ اِهتاجَ أَعزَلُ**

وَلَستُ بِمِحيارِ الظَلامِ إِذا اِنتَحَت*هُدى الهَوجِلِ العِسّيفِ يَهماءُ هَوجَلُ**

إِذا الأَمعَزُ الصُوّانُ لاقى مَناسِمي*تَطايَرَ مِنهُ قادِحٌ وَمُفَلَّلُ**

يتحدث الشنفرى في القسم عن انتمائه الجديد ومعاشرته للوحوش ثم يستقيل للحديث عن شجاعته وبسالته فيرى نفسه شخصا قويا وزعيما لا يشق له غبار قد تحدث في القسم السابق عن ثلاثة حيوانات متمثلة في ثلاثة وحوش عاش معهم ويتحدث عن ثلاثةأشياء قلب حديدي وسيف حاد سقيل وقوس قوية مكتملة وهذا كل ما يؤكد قوته الخارقة التي يتأصل بها كما أن هذا السلوك

(1) مقالات في الشعر الجاهلي، ص213.

المتصدي هو الذي دفعه إلى التركيز ع لى القوس والإمعان في إضفاء القوة عليها ثم يتصل بعد ذلك إلى نفي السلب عن الذات وهذا النفي هو إثبات لأنه يتفاخر بنفسه، ولكن حيث نهتم أن الانتماء يتسم بقدرة حركية ديناميكية عظيمة، أعني القدرة على تحريض النفس ليشغل من موقع إلى أحد نستطيع أن ندرك هذا الافتخار[1] وعلى ضوء هذه الحركية يمكننا ان ندرك كذلك يسر وافتخار عشيرة العيسي، ذلك الفارس المرفوض وغير المغير ببنيته إنه هو الأحد يعيش حالة من حالات تصدع الشنفرى ينطلق من اللاشعور.

المستوى الرابع: وصف الشنفرى للجوع (البيت 22- البيت 36)

أَديمُ مِطالَ الجوعِ حَتّى أُميتَهُ ****وَأَضرِبُ عَنهُ الذِكرَ صَفحاً فَأَذهَلُ

وَأَستَفُّ تُربَ الأَرضِ كَيلا يَرى لَهُ ****عَلَيَّ مِنَ الطَولِ اِمرُؤ مُتَطَوَّلُ

وَلَولا اجتِنابُ الذَأمِ لَم يُلفَ مَشرَبٌ ****يُعاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأكَلُ

وَلَكِنَّ نَفساً مُرَّةً لا تُقيمُ بي ****عَلى الذَأمِ إِلّا رَيثما أَتَحَوَّلُ

وَاَطوي عَلى الخُمصِ الحَوايا كَما اِنطَوَت ****خُيوطَةُ مارِيٍّ تُغارُ وَتُفتَلُ

وَأَغدو عَلى القوتِ الزَهيدِ كَما غَدَا ****أَزَلُّ تَهاداهُ التَنائِفُ أَطحَلُ

غَدا طاوِياً يُعارِضُ الريحَ هافِياً ****يَخوتُ بِأَذنابِ الشِعابِ وَيَعسَلُ

فَلَمّا لَواهُ القوتُ مِن حَيثُ أَمَّهُ ****دَعا فَأَجابَتهُ نَظائِرُ نُحَّلُ

مُهَلهَةٌ شِيبُ الوُجوهِ كَأَنَّها *****قِداحٌ بِكَفَّي ياسِرٍ تَتَقَلقَلُ

أَو الخَشرَمُ المَبعوثُ حَثحَثَ دَبرَهُ *****مَحابيضُ أَرداهُنَّ سامٍ مُعَسَّلُ

مُهَرَّتَهٌ فوهٌ كَأَنَّ شُدوقَها *****شُقوقُ العِصِيِّ كَالِحاتٌ وَبُسلُ

فَضَجَّ وَضَجَّت بِالبَراح كَأَنَّها *** وَإِيّاه نوحٌ فَوقَ عَلياءَ ثُكَّلُ**

(1) يوسف اليوسف، مقالات في العصر الجاهلي، ص219-220.

وَأَغضى وَأَغضَت وَاتَّسوَاتَّسَت بِهِ *****مَراميلُ عَزّاها وَعَزَّتهُ مُرمِلُ

شَكا وَشَكَت ثُمَّ اِرعَوى بَعدُ وَاِرعَوَت *****وَلَلصَّبرُ إِن لَم يَنفَع الشَكوُ أَجمَلُ

وَفاءَ وَفاءَت بادِراتٌ وَكُلُّهَا ****عَلى نَكَظٍ مِمّا يُكاتِمُ مُجمِلُ

يواصل الشنفرى في هذا القسم حديثه عن الانتماء، فهو إذا كان تحدث في الأبيات السابقة عن حالة الصادق والاعتداء بالنفيس والاعتزاز لها عبر القوة فهو في هذه الأبيات يصور حالة استرحام مبطن، فهو في الحقيقة يحاول أن يمد يديه خفية إلى أفراد القبيلة لأن ما يبدله الفرد من تعاسة فإنه يجمل في كثير من الأحيان غاية استعطاف الآخرين ويخفي وراءه –وبالتالي– الحاجة إلى الحنان[1]، ومع ذلك نلمح من البيت والرابع والعشرين إحساس الشاعر بذاته التي يمكن أن تعود إلى صفتها من جديد لأنه يعيش في مجال ضيق فرفضه عليه انتمائه الجديد يتحدث الشنفرى عن الجوع بصورة مكثفة، ثم يتحدث عن الذئب بل يتوحد معه ويتطابق معه فالدين هو الشاعر نفسه حتى أصبح الذئب يرمز إلى الجوع حيث أصبح يربط بين جوعه الخاص وجوع الذئاب.

المستوى الخامس: وصف الشنفرى للقطا ونومه وراحته وشروره ومشاغله (البيت 37- البيت 47)

وَتَشرِبُ أَسآرِيَ القَطا الكُدرُ بَعدَما * سَرَت قَرَباً أَحناؤُها تَتَصَلصَلُ**

هَمَمتُ وَهَمَّت وَابتَدَرنا وَأَسدَلَت ** وَشَمَّرَ مِنّي فارِطٌ مُتَمَهَّلُ**

فَوَلَّيتُ عَنها وَهَي تَكبو لِعَقرِهِ ** يُباشِرُهُ مِنها ذُقونٌ وَحَوصَلُ**

كَأَنَ وَغاها حَجرَتَيهِ وَحَولَهُ ** أَضاميمُ مِن سِفرِ القَبائِلِ نُزَّلُ**

تَوافَينَ مِن شَتّى إِلَيهِ فَضَمَّها ****كَما ضَمَّ أَذوادَ الأَصاريمِ مَنهَلُ

فَعَبَّت غِشاشاً ثُمَّ مَرَّت كَأَنَّها ** مَعَ الصُبحِ رَكبٌ مِن أُحاضَةَ مُجفِلُ**

وَآلَفَ وَجهَ الأَرضِ عِندَ افتِراشِها ** بِأَهدَأَ تُنبيهِ سَناسِنُ قُحَّلُ**

(1)يوسف اليوسف، مقالات في العصر الجاهلي، ص222.

وَأَعدِلُ مَنحوضاً كَأَنَّ فُصوصَهُ *** كِعابٌ دَحاها لاعِبٌ فَهيَ مُثَّلُ**

فَإِن تَبتَئِس بِالشَنفَرى أُمُّ قَسطَلٍ *** لَما اِغتَبَطَت بِالشَنفَرى قَبلُ أَطوَلُ**

طَريدُ جِناياتٍ تَياسَرنَ لَحمَهُ **** عَقيرَتُهُ لأَيَّها حُمَّ أَوَّلُ**

تَنامُ إِذا ما نامَ يَقظى عُيونُها *****حِثاثاً إِلى مَكروهِهِ تَتَغَلغَلُ

وَإِلفُ هُمومٍ ما تَزالُ تَعودُهُ *****عِياداً كَحُمّى الرَبعِ أَو هِيَ أَثقَلُ

إِذا وَرَدت أَصدَرتُها ثُمَّ إِنَّها *****تَثوبُ فَتَأتي مِن تُحَيتٍ وَمِن عَلُ

إنما يلفت الانتباه إلى القسم هو عودة الشنفرى للحديث عن الذات، فقد انشغل-بطريقة مفاجئة- من الإعواء إلى الاستعلاء لأن نفسه متصدعة تسارعها قيمتان متناقضتان إحداهما تسعى إلى الاسترخاء والاسترجاع والاستسلام، وتليهما تسعى إلى الاستعلاء ومن هنا جاءت دوافع رجراجة تستغل بطريقة لا شعورية من مكان إلى آخر وقد خلقت هذه الحالة عند الشاعر صراعا في الرغبة في التلوصوالرضوح، والرغبة في التفوق مما أدى إلى حدوث انهيار عميق في التسييج الداخلي لنفس الشنفرى.[1]

المستوى السادس:وصف الشنفرى لغناه وفقره ثم وصف الليل والمطر، ووصف النهار شديد الحر (البيت 50- البيت 68)

فَإِمّا تَرَيني كَابنَةِ الرَملِ ضاحِياً *****عَلى رِقَّةٍ أَحفى وَلا أَتَنَعَّلُ

فَإِنّي لَمَولى الصَبرِ أَجتابُ بَزَّهُ *** عَلى مِثلِ قَلبِ السِمعِ وَالحَزمَ أَفعَلُ**

وَأُعدِمُ أَحياناً وَأَغنى وَإِنَّما *** يَنالُ الغِنى ذو البُعَدةِ المُتَبَذَّلُ**

فَلا جَزِعٌ مِن خَلَّةٍ مُتَكَثَّفٌل **** وَلا مَرِحٌ تَحتَ الغِنى أَتَخَيَّلُ**

وَلا تَزدَهي الأَجهالُ حِلمي وَلا أَرى *****سِؤولاً بِأعقابِ الأَقاويلِ أَنمُلُ

(1) المرجع نفسه، ص228.

وَلَيلَةِ نَحسٍ يَصطَلِيَ القَوسَ رَبُّها *****وَأَقطُعَهُ اللاتي بِها يَتَنَبَّلُ

دَعَستُ عَلى غَطشٍ وَبَغشٍ وَصُحبَتي ** سُعارٌ وَإِرزيزٌ وَوَجرٌ وَأَفكُلُ**

فَأَيَّمتُ نِسواناً وَأَيتَمتُ آلَدَةً ** وَعُدتُ كَما أَبدَأتُ وَاللَيلُ أَلَيَلُ**

وَأَصبَحَ عني بِالغُمَيصاءِ جالِساً *** فَريقانِ مَسؤولٌ وَآخَرُ يَسأَلُ**

فَقالوا لَقَد هَرَّت بِلَيلٍ كِلابُنَا *** فَقُلنا أَذِئبٌ عَسَّ أَم عَسَّ فُرغُلُ**

فَلَم تَكُ إِلّا نَبأَةً ثُمَّ هَوَّمَت *** فَقُلنا قَطاةٌ ريعَ أَم رِيعَ أَجدَلُ**

فَإِن يَكُ مِن جِنٍّ لَأَبرَحُ طارِقاً *** وَإِن يَكُ أُنساً ماكَها الأُنسُ تَفعَلُ**

وَيَومٍ مِنَ الشِعرى يَذوبُ لَوابُهُ ** أَفاعيهِ في رَمضائِهِ تَتَمَلمَلُ**

نَصَبتُ لَهُ وَجهي وَلا كِنَّ دونَهُ *** وَلا سِترَ إِلّا الأَتُحَمِيَ المُرَعبَلُ**

وَضافٍ إِذا هَبَّت لَهُ الريحُ طَيَّرَت ** لَبائِدَ عَن أَعطافِهِ ما تَرَجَّلُ**

بَعيدٌ بِمَسَّ الدُهنِ وَالفَليُ عَهدُهُ ** لَهُ عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسلِ مُحوِلُ**

وَخَرقٍ كَضَهرِ التِرسِ قَفرٍ قَطَعتُهُ ** بِعامِلَتَينِ ظَهرُهُ لَيسَ يُعمَلُ**

وَأَلحَقتُ أولاهُ بِأُخراهُ موفِياً *****عَلى قُنَّةٍ أُقعي مِراراً وَأَمثِلُ

تَرودُ الأَراوِيَ الصُحمُ حَولِي كَأَنَّها ****عَذارى عَلَيهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ

وَيَركُدنَ بالآصالِ حَولِي كَأَنَّني *** مِنَ العُصم أَدفى يَنتَحي الكَيحَ أَعقَلُ**

يتضح من هذه الأبيات أن الشنفرى يسر على العودة إلى انتمائه الذاتي وذلك بتشبيهه بالأنا الذي لازمه طوال لاميته، غير أنه في هذه المرة يتحدث عن ذاته بطريقة مختلفة وذلك بمناقضته للقبيلة وأعرافها والإسرار على إقام علاقة وطيدة مع الموجودات والحيوانات في الطبيعة التي تمثلها. فهو يعيش

فيها بحرها[1] الشديد وبردها القارس فهي تحاصره بدون رحمة ثم أن هذا التشبث بالذات والإسرار عليها هو المصير المحتوم الناتج عن ضغوط الصحراء التي تحاصره[2].

(1) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، ص235

(2) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، ص245.

خاتمة:

الى هنا يكون البحث قد استوفى بعون الله فصوله ومباحثه ورغم انها كانت متبعة ومجمدة، إلا أنها متعتها فاقت مشقتها، ويمكن تلخيص النتائج التي توصل اليها البحث في النقاط التالية:

1-تطرقنا الى المعنى المباشر للصعلة هو الفقر، إن مدلول مباشر أي التجرد كما عرفنا الصعاليك بانهم جماعة من الذين احترفوا القتال والفن والسلاح وقطع الطريق، وصبروا على الشدائد وقسوة الحياة.

2-توصلت الدراسة أن التمرد له صلة بالظروف الطبيعية والبيئية الصحراوية أنه لم يكن وليد هذه الظروف.

3-كما راينا أن الصعاليك كونوا مجتمعا خاصا بهم بعد أن خرجوا عن مجتمع القبلية وهذا المجتمع نشا بفعل تحالف وتآلف عدد من الصعاليك محاولة زيادة قوتهم عن طريق التجمع والتعاون.

4-وقد قدم الصعاليك صورتين للمرأة الضائعة.

1. **صورة المستبدة:** التي رأيناها تعكس واقع الصعلوك الحالي الذي يعاني من التهميش والظلم وهو يقع على هامش المجتمع.
2. **الصورة المثالية:**التي تعكس طموح الشاعر الى نمط آخر من الحياة يسوده الوئام والعدل.

5-ووجدنا أن الشاعر الصعلوك اعتمد في رسم صورة العادلة على تقنية الحوار والاقناع، كأنه يشاركها الرأي والمشورة ولكن هذه المشاركة لا تتجاوز حدود الاصغاء للخطاب تلك العادلة دون أن تحدث استجابة أو تغيير في نهج حياته.

6-ومن خلال صورة المرأة العفيفة رأينا كيف أن أول ما نلاحظه من طابع الصعاليك في الغزل العفة لإكرام صورها سواء في حديثه عن عواطفهم واشواقهم وعن صفات حبيباتهم وهذا دليل على أن الصعلوك يحترم المرأة بصفة عامة والمرأة العفيفة بصفة خاصة.

7- جاءت صورة الامة لتعكس حدة المعاناة والاضطهاد الذي يعانيه العبيد في المجتمع الجاهلي وخاصة السود منهم وقلة حيلتهم وعندما يصور الصعاليك صورة للمرأة السيئة فيهم يركزون في رسم هذه الصورة على الطريقة التي يتم بها فعل السبي ولحظة اسر هذه المرأة.

8- كما أقررنا تلك العلاقة المميزة بين الصعلوك وامه، كونه لم يعرف عطف الأب منذ صغره، وكانت أمه أقرب مخلوق اليه، ورأينا أن أم الصعلوك تختلف عن أم شخص آخر في المجتمع الجاهلي لأنها في الاغلب كانت أمه أم سبية أو ضعيفة النسب لذلك حاول الصعاليك تجاوز هذا الواقع ليمسحوا بأنفسهم نوعا من السخط والاهانة عن امهاتهم أو الأم بصفة عامة.

9- وتوصلنا أيضا الى الشعراء الصعاليك نظروا الى المرأة التي تتخلى عن جسدها وأخلاقها نظرة مادية تخلوا من الاحتقار والاستصغار لشأنها في كثير من الأحيان وإذا يتعرضون إليها في أشعارهم تراهم يتناولونها من زاوية واحدة وهي زاوية الجسد.

10- إن صورة طيف المرأة عند الشعراء الصعاليك تحتل مطالع القصائد التي تورفيها أو تتأخر قليلا وكان من الطبيعي ان يلجأ الشاعر الصعلوك الى الحلم لأنه وسيلته الوحيدة لتحقيق ما عجز عنه في الواقع وهذا على الرغم من قلة شعره الذي يختص في شعره في ذلك.

وفيما يخص لامية الشنفرى لا يتجاوز شعره 36 بيتا واللامية فيها ستون بيت إلا أنه اعتقادنا خاطئ وأن اللامية من صنع الشنفرى.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. ديوان الأعشى، شرح محمد حسن.
3. الأغاني الأصفهاني، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثامنة، 1990.
4. الأصمعي-الاصمعيات، تحقيق أحمد محمد حسين، وعبد السلام هارون، الطبعة الرابعة.
5. ديوان السليك، ابن السليك، شرح الضناوي، دار الكتاب العربي، 1994.
6. ديوان عروة، ابن الورد، شرح أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1992.
7. إبراهيم الخواجة.
8. عروة، ابن الورد حياته وشعره.
9. مكتبة النصر التجارية، نابلس، الطبعة الثانية، 1987.
10. شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1970.
11. عبد الحليم الحسني، شعر الصعاليك، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة.
12. المبرد الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد الدالي.
13. مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1993.
14. منظور لسان العرب.
15. عبد الحليم الحنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب دون طبعة سنة 1987.
16. يوسف اليوسف مقالات في الشعر الجاهلي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دون طبعة، دمشق 1975.
17. يوسف الخليل، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، الطبعة الثالثة، دار المعارف.
18. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة 1983.
19. ابن قتيبة، المعاني الكبيرة، طبعة جيدر آزار، سنة 1949.

العنـــــــــــوان	الصفحـة
بســمـــلـة	
تشكرات	
إهـــداء	
مـقدمــة	أ – ج
الفصل الأول: تعريف الصعلكة و أسباب ظهورها	
تعريف الصعلكة	5
تعريف الصعاليك	6
أقسام الصعاليك	6
أسباب الصعلكة	6
صورة المرأة في شعر الصعاليك	11
صورة المرأة العادلة	11
صورة المرأة العفيفة	14
صورة المرأة المصارمة	17
الفصل الثاني: تحليل لامية العرب للشنفرى	
نبذة عن حياة الشنفرى	29
الشعر الشنفري	30

ديوان الشنفرى	31
لامية العرب للشنفرة	32
تحقيق نسبة اللامية إلى الشنفرى	32
الحجج و البراهين	34
الخاتمة	44
قائمة المصادر و المراجع	47
الفهرس	49